– أمُّك!

– ولكنكِ تكرهينها يا سبيكة فيما أرى!

– بل هي تكرهني.

– وهل تكره الأم ابنتها؟

– نعم، حين تكون كنَّة لها، فتغلبها على أمومة ولدها.

– فهل أيقنتِ إذن أنكِ قد غلبتيها على أمومتي؟ …

– أيقنت.

قال وقد مدَّ إليها يدًا يُعابثها: فإن طفلكِ الكبير … جائعٌ يا أم.

فابتعدت عنه مُعجلة وهي تقول: صَهْ، فإن عتيبة قادم.

وسمع وقع أقدامه في الفناء، ثم دخل، فألقى بنفسه بين ذراعَي أبيه …

لم يعُد عُتيبة صبيًّا، فقد شبَّ ونما واخضرَّ شاربه، وكان قويًّا عريض الألواح مفتولَ الساعِد خَشِنَ الكف، ولكن في خديه شحوبًا، وفي عينيه زُرقة وعُمق، ولصوته نبرٌ عذب، من يراه ويرى هذين الرجل والمرأة لا يشكُّ للنظرة الأولى أنهما زوجان قد أنجبا، فإن فيه من كِليهما وليس لأحدهما من صاحبه شيء …

ورأى عُتيبة فرصةً سانحةً ليتحدَّث إلى أبيه في أمرٍ يشغله منذ بعيد، ثم استحيا … فآثر السكوت حتى يُرَوِّي في الأمر فيعرف من أين يبدأ …

ولكن الرجل الكهل لم يكن من الغفلة بحيث يغيبُ عنه معنى تلك اللمحات الغامضة والإشارات المكبوتة التي بَدَت من ولده حين أخذا في الحديث عن بعض ما كان هنا وهنالك في أثناء تلك الغيبة الطويلة …

– إنَّ عتيبة قد بلغ مبلغَ الرجال يا سبيكة.

– نعم!

– ويرى من حقِّه أنْ يؤوي إليه زوجة.

– نعم!

– وتغلبكِ على أمومته أمٌّ أخرى …

– تخفُّ تبعاتي إذن.

– أتؤمنين بما تقولين يا سبيكة؟

– كلَّ الإيمان.

– وإذا لم يجد عندها ما يلتمسُ كلُّ رجل في امرأته من حنان الأمومة وعطف الزوجة وإيثار الحب؟ …